قراءة في كتاب لحظة ميلاد التّداوليّة لمسعود صحراوي

A reading of the book "The Moment of the Birth of Pragmatics" by Massoud Sahraoui.

أ. خليفة عيسات♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-027-002-003

تاريخ الاستلام: 05-08-2024 -تاريخ القبـول: 13-01-2025 -تاريخ النّشر: 15-06-2025

ملخّص: يعد كتاب لحظة ميلاد التّداوليّة للباحث مسعود صحراوي من أهم المنجزات العلميّة في اللسانيات التّداوليّة التي صدرت حديثا، والتي قدّمت إضافة نوعيّة متميزة لنظريّة أفعال الكلام، وقد حرص فيها الباحث على عرض مفاهيم النّظريّة ومقولاتها ومفاهيمها بلغة ميسرة سلسة قصد تقريب هذه المفاهيم الحديثة للباحثين.

ويهدف هذا البحث إلى التعريف بمفاهيم ومقولات نظريّة أفعال الكلام وتاريخ نشأتها، والخلفيّة الفكريّة التي نشأت في رحابها في الفكر الغربي المعاصر والتطرق إلى مرحلة الولادة الفعليّة للنظريّة على يد الفيلسوف أوستين، والى أهم المراجعات والتعديلات التي أجراها سيرل على النّظريّة، كما عرضها الباحث في كتابه الذي يعد من أهم الكتب التي أسهمت بالتعريف بنظريّة أفعال الكلام.

♥ جامعة أبو القاسم سعد الله. الجزائر 02، الجزائر، البريد الإلكتروني: aissatkhalifa81@gmail.com (المؤلّف المرسل).

للوقوف على التفكير اللّساني عند الباحث مسعود صحراوي الذي جمع فيه بين التراث العربي واللسانيات الغربيّة المعاصرة.

كلمات مفتاحيّة: مسعود صحراوي؛ التّداوليّة؛ أفعال الكلام؛ لحظة ميلاد.

Abstract: The book "The Moment of the Birth of Pragmatics" by researcher Masoud Sahraoui is considered one of the most significant scientific achievements in the field of pragmatic linguistics that has been recently published. It offers a distinctive qualitative addition to the theory of speech acts. The researcher has made an effort to present the concepts, propositions, and ideas of the theory in a clear and accessible language, aiming to bring these modern concepts closer to researchers.

This research aims to introduce the concepts and propositions of the theory of speech acts, its historical emergence, and the intellectual background in which it developed within contemporary Western thought. It also addresses the actual birth of the theory through the work of philosopher J.L. Austin, as well as the most important revisions and modifications made by John Searle to the theory, as presented by the researcher in his book, which is considered one of the key texts that contributed to the understanding of the theory of speech acts. The study seeks to explore the linguistic thought of researcher Masoud Sahraoui, who has combined Arab heritage with contemporary Western linguistics.

Keywords: Masoud Sahrawi; Pragmatics; Speech Acts; Moment of Birth.

1. مقدّمة: تعد اللسانيات التّداوليّة من أهم الاتجاهات اللّغويّة التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللسانس المعاصر في السّبعينات من القرن

العشرين، واعتنت التّداوليّة بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال في المقامات المختلفة وبحسب أغراض المتكلم ومقاصده وأحوال المتخاطبين فهي تهتم بكل أقطاب العمليّة التواصليّة وكل ما يحيط بها لمعرفة مقاصد المتكلم ولتحقيق التواصل استنادا إلى السّياق الذي ورد فيه الخطاب، وهذا التغيير الجذري يعدّ نقطة تحول في مجال البحث اللساني، ومحاولة تجاوز الرّؤيّة البنيويّة للغة، وقد مهدت لها أعمال العديد من الفلاسفة واللغويين، ولعلّ أعمال الفيلسوف جون أوستين كانت الولادة الفعليّة للسانيات التّداوليّة في الفكر الغربي المعاصر. وقد شكلت نظريّة أفعال الكلام لأوستين أولى نظريّة لسانيّة تداوليّة، ثم تطورت شيئا فشيئا مع تلميذه جون سيرل إلى أن أصبحت نظريّة متماسكة ومتكاملة.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل أهم المصطلحات والمفاهيم التّداوليّة في كتاب" **لحظة ميلاد التّداوليّة**" للباحث مسعود صحراوي، الذي يعد من أهم الكتب الحديثة التي عُنيت بمعالجة النّظريّة التّداوليّة، وبالتحديد نظريّة أفعال الكلام وعرض أهم مفاهيمها ومقولاتها التي قام الباحث بدراستها و تمحصيها وتحليليها، والسّعي إلى التعريف بالأصول الأولى للتداوليّة، وعرض مفاهيمها ببساطة وبلغة سلسة، وميسرة لتقريب هذه المفاهيم الحديثة للطلبة والباحثين بكل علميّة وموضوعيّة، مع تقديم المقترح العربي في ترجمة المصطلح التّداولي والسّعي إلى إيجاد الرّبط المعرفي والتوافق المفهومي بين التراث اللغوي العربي ومفاهيم النّظريات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة. وهذا يحيلنا إلى الإشكاليّة التاليّة: **ماهي أهمّ القضايا اللّسانيّة التّداوليّة التي عالجها الباحث مسعود صحراوي في كتابه" لحظة ميلاد التّداوليّة؟ وما هي الاقتراحات التي قدمها في سبيل النّهوض باللّسانيات التّداوليّة وخصوصا نظريّة أفعال الكلام؟**

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التّحليلي. وكان هدفنا من الدّراسة هو إبراز أهميّة الكتاب العلميّة الذي يفتح أفاقا واسعة في الاطلاع على

اللسانيات التّداوليّة فيما تضمّنه من مواضيع مهمّة تعين الطلبة والباحثين على الإلمام والإحاطة خصوصا بمفاهيم نظريّة أفعال الكلام، ومحاولة استثمار هذه المفاهيم اللسانيّة الغربيّة الحديثة في قراءة التّراث العربي لإبراز قيمته العلميّة وفق رؤيّة تجديديّة صحيحة ومتجانسة.

2.نبذة عن المؤلف: يعد الدكتور مسعود صحراوي من بين الباحثين الجزائريين المتميزين في اللسانيات، وكان من الأوائل الذين أسّسوا اللسانيات التّداوليّة في العالم العربي من خلال مؤلفاته وأبحاثه التي كان لها القبول ونالت شهرة واسعة من طرف الباحثين، وطلبة العلم في العالم العربي. الباحث اللساني مسعود صحراوي من مواليد ولايّة سطيف بالجزائر يشغل حاليا أستاذ التعليم العالي لعلوم اللّغة بقسم اللّغة العربيّة وآدابها بجامعة عمار ثليجي الأغواط حاصل على شهادة الماجستير في اللسانيات العامة بجامعة باتنة سنة1997م ودكتوراه في اللسانيات التّداوليّة من نفس الجامعة سنة 2004 م، أشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في عدّة جامعات جزائريّة، شارك في العديد من الملتقيات والنّدوات العليمة الوطنيّة والدوليّة في مجال اللّسانيات وله عدة مقالات منشورة في مجلات لغويّة متخصّصة، وهو عضو وخبير محكم في عدة مجلات لغويّة عربيّة متخصّصة وله عدة كتب منشورة[1]. ومن كتبه المنشورة حديثا **كتاب لحظة ميلاد التّداوليّة**– نظريّة الأفعال الكلاميّة– بحث في التأسيس النّظري للظاهرة مع مراجعة مفاهيميّة للمصطلح وربط بالتّراث العربي الطبعة الأولى، 2023. دار أزمنة الأردن، ويعد كتاب لحظة ميلاد التّداوليّة عرضًا نظريًا للحظة ميلاد التّداوليّة الغربيّة ممثلة في وضع نظريّة للأفعال الكلاميّة، وهو كتاب حديث الإصدار حاول فيه الباحث إعادة قراءة التّداوليّة وبالتحديد نظريّة أفعال الكلام بمنهجيّة علميّة وموضوعيّة دقيقة وبأسلوب لساني نقدي، مع مراجعة مفاهيميّة نقديّة للمصطلح التّداولي.

3. المقترح العربي في ترجمة المصطلح التّداولي مراجعة مفاهيميّة نقديّة:

3-1 ترجمة الخليفة هشام عبد الله: إنّ الباحث هشام عبد الله خليفة له مجهودات كبيرة في ترجمة العديد من البحوث في مجال التّداوليات، وقد وفق في الكثير منها، لكنّه لم يختر المصطلح المناسب في ترجمته لمصطلح (pragmatique) الذي ترجمه "بالفعليات" أو إلى "الفعلياتيّة" يقول هشام عبد الله خليفة: "أما بالنّسبة لمصطلح البراكماتيك (pragmatics) فلكون هذا الحقل اللغوي جديدا ولعدم وجود مصطلح يقابله في العربيّة فقد اضطررت إلى صياغة مصطلح مقابل أعتز به وأصر عليه هو "**الفعليات**" وهذا المصطلح له مبررات عديدة، فهو يشمل ما نعنيه حين نتكلّم عن المعنى أو المغزى الفعلي للكلام تمييزا عن المعنى اللغوي الوضعي الذي هو موضوع علم الدلالة ومصطلح الفعليات يشير إلى كون اللّغة نوعا من الفعل، وهذا واضح في نظريّة أفعال الكلام التي تشكل الجزء الأهم من الفعليات... وبعضهم يستعمل مصطلح "علم اللّغة التّداولي" وهو ترجمة لا بأس بها لكنّها لا تغطي المصطلح الأجنبي مثل مصطلح الفعليات[2] فترجمته لمصطلح (pragmatics) بالفعليات هنا ترجمة غير مناسبة وغير مكافئة وغريبة بعض الشّيء لأنّه لا توجد صلة مناسبة بين المصطلح الأصلي والمصطلح المقابل والعلاقة بينها غامضة وبعيدة، ومن علامات غموضه على أن يكون مكافئا قويا، وقد اضطر إلى شرحه بين قوسين (التّداوليّة) وهذا يعطي لهذا اللفظ الأخير شرعيّة وقوة اصطلاحيّة[3]. والدكتور هشام عبد الله خليفة يرى في ترجمته لمصطلح (pragmatics) إلى فعليات الذي اشتهرت ترجمته إلى (تداوليّة أو ذرائعيّة) أنّها ترجمة تخلط بين المدرسة الفلسفيّة (pragmatism) الذرائعيّة وحقل (pragmatics) في اللسانيّات. وأمّا مصطلح التّداوليّة يعاني من مشكلة صيغة المصدر الصّناعي التي لا تستعمل لتسميّة العلوم، إلاّ جمعًا لصيغ

النّسبة في اللّغة العربيّة مثل: رياضيات، لسانيات، أمّا النّسبة المفردة فتستعمل للمذاهب مثل: الماركسيّة، الديمقراطيّة، وإذا كان واضع المصطلح يعني به التّداول وما تعارف عليه النّاس فهذا ليس هو المقصود بالمصطلح، لأنّ الفعليّات تدرس المعاني والمقاصد في السّياق الفعلي[4].

وعليه فإنّ ترجمة الدكتور هشام عبد الله الخليفة لمصطلح (pragmatics) عنوان العلم ذاته بالفعليات يبدو غريبًا وغامضًا وغير مكافئ للمصطلح الأجنبي ولذلك نجده يستعمل مصطلح التّداوليّة في بعض كتبه ويشرح مصطلح الفعليات بالتّداوليّة ويقر بأن هذا الأخير هو المشهور بين الباحثين، وقد استعمل مصطلح "التّداوليّة بدل "الفعليات" في بعض أبحاثه وفي ترجمته لبعض الكتب والمعاجم وهذا يدل على أنه غير راض ومقتنع بمصطلح الفعليات وأنّ مصطلح التّداوليّة هو المناسب. ويبقى مصطلح التّداوليّة هو الأكثر استعمالا وشيوعا بين الباحثين والدارسين.

3-2 ترجمة طه عبد الرّحمان: يعد الباحث طه عبد الرّحمن أوّل من وضع مصطلح "التّداوليات" سنة1971م مقابلاً للمصطلح الغربي (pragmatique) والذي لقي رواجا في السّاحة الأكاديميّة، وأوّل من نبه إلى أهميّة الدرس التّداولي والدعوة إلى الاستثمار فيه، فهو من رواد الفكر التّداولي العربي.[5] يقول طه عبد الرّحمن:" وقع اختيارنا منذ 1970 م على مصطلح "**التّداوليات**" مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا" لأنّه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيي **الاستعمال والتفاعل** معا ولقي منذ ذاك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"[6] فمصطلح التّداوليّة هو الأنسب والمتداول بين الباحثين لأنه يحيل على التفاعل والحوار والتّواصل بين المتخاطبين مقارنة بالمصطلحات الأخرى مثل: الذرائعيّة، النّفعيّة، الاتصاليّة السّياقيّة، التّخاطبيّة، المقاميّة، علم المقاصد. "والتّداوليّة في رأي هي المكافئ

الأنسب، خصوصًا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ (pragmatics)هي بالأساس دراسة اللّغة من منظور تداولها بين مستعمليها"[7].

حاول طه عبد الرّحمن التأصيل العلمي بين التراث العلمي والفكر التّداولي الحديث خصوصا مصطلحات أوستين، وفي ترجمته للتشقيقات التي وضعها أوستين للفعل الكلامي الكامل يضع البدائل الآتيّة: فمصطلح(act locutoire) ترجمه بالفعل الكلامي، ومصطلح (acte illocutoire) ترجمه بالفعل التّكلمي ومصطلح (acte perlocutoire) ترجمه بالفعل التكّليمي[8].

وفي ترجمته للمصطلح الأوّل: (acte locutoire) الذي عبر عن الجزء بمصطلح الكل وهو أمر لا يستقيم في تجريد المفاهيم ووضع المصطلحات لأنّ الفعل الكلامي يعبر عن المفهوم الكلي الذي تندرج تحته الأفعال الثّلاثة الكبرى المتزامنة، وكان عليه ترجمته إلى "فعل القول"، أما ترجمته للمصطلحين الأخيرين فغير موفقة لأنّه بعيد عما أراده أوستين. فالفعل الإنجازي (acte illocutoire) والذي فهم الأستاذ طه عبد الرّحمن أنّ المراد منه عند العسكري "بالفعل التكلُّمي" وقصره على المتكلم لا يجاوزه إلى المخاطَب والذي يعني عند أوستين القوة الإنجازيّة المودعة في فعل القول وهي قوة إنجازيّة تؤدى بها وظيفة تأثيريّة في المخاطَب لأنه يطلب بها منه دائما شيئًا ما. أما الصّيغ الصّرفيّة التي استعملها أبو هلال العسكري في الفروق (كلام، تكلم، تكليم) هي أفعال كلاميّة إنجازيّة إذا توفرت لها شروط الإنجازيّة، والأساس في ذلك أن يكون في قصد المتكلم فعل شيء ما بها، وأن يكون ذلك في خطاب تواصلي تام، والفرق بين اصطلاحات العسكري ليست فروقا في القوة الإنجازيّة لهذه الألفاظ الثّلاثة، ولكن في درجة الشّدة للغرض الإنجازي حسب سيرل. وبناء على هذا فإنّ ما اقترحه طه عبد الرّحمن من مصطلحات من كتاب الفروق للعسكري لا يمكنه أن يكون بديلا معرفيا مكافئا لمصطلحات أوستين الثّلاثة

بسبب الفوارق المفاهيميّة والاعتماد على البنيّة السّطحيّة دون النّظر في البنيّة العميقة وهذا راجع إلى المبالغة في استدعاء مصطلحات التراث العربي إلى ساحة العلوم المعاصرة والتسرع في فكرة التأصيل والرّبط المعرفي بلا ضوابط[9].

كما أنّ السّياق المعرفي الذي نشأت فيه مفاهيم أبي هلال العسكري تختلف عن مفاهيم أوستين لأنّ سياق نص أبي هلال العسكري الذي ظهرت فيه هذه الألفاظ (الكلام، التكلم، التكليم) هو سياق نفي الترادف وتبيين الفوارق المعنويّة عن هذه الألفاظ وإظهار الفروق بينها، ولم يذكرها باعتبار أنّها أفعالا كلاميّة عكس ما فهمه طه عبد الرّحمان من هذه المصطلحات ولا علاقة لها بما أراده أوستين[10]. وعليه يجب النّظر في السّياق المعرفي والاجتماعي والثّقافي الذي نشأ فيه المصطلح لأنّ هذا الأخير مرتبط بالسّياق الأصلي الذي أفرزه واستيعابه حين التّأصيل العلمي عبر الرّبط المعرفي بين التّراث العربي واللسانيات الغربيّة المعاصرة، والسّعي إلى تقصي المصطلح الأدق المقابل له في اللّغة الهدف، ووضعه في سياقه المعرفي المناسب الصّحيح والمتجانس حتى لا نقع في أزمة مصطلحيّة بسبب إسقاط المفاهيم الحديثة على المفاهيم التراثيّة أو العكس.

4.ترجمة شكري المبخوت: وقد ترجم شكري المبخوت مصطلح أوستين (illocutionary act) بمصطلح "الفعل اللاقولي" وهو مصطلح في غايّة التناقض فالمترجم يجمع النّقيضين في مفهوم واحد: القول واللاقول، كأنه يجمع بين الشّيء واللاشيء في كلمة واحدة، ولم يلتفت إلى أن هذه الترجمة قد تنسف أساس نظريّة أوستين التي تقوم على أساس الكلام فقد سماها صاحبها (speech act) أي: أفعال كلاميّة وتقوم على أساس القول والكلام ولذا سمى أحد فروعها (Illocutionary act) أي: فعل القول ومع ذلك يقول في ترجمته "لاقولي". ويترجم (la force illocutoire) بالقوة اللاقوليّة والصّواب القوة

المتضمنة في القول أو القوة الإنجازيّة وهذا يدل على التسرع في الترجمة، وعدم استيعاب نظريّة أفعال الكلام[11]. فالإشكال الذي يقع فيه الباحث النّاقل للمفهوم الأجنبي عن طريق الاقتراض أو الترجمة الحرفيّة هو إغفاله للمتلقي العربي فيبقى المصطلح العربي حاضرا في ذهنه لا ينفصل عن المصطلح الأجنبي دون أن يعي بأنّ المتلقي لا يتمثل المصطلح إلا في تشكله اللساني العربي فالمصطلحات الثّلاثة مثلا: "العمل القولي"، "العمل اللاقولي"، "عمل تأثير بالقول" وأسأل كيف يكون العمل قوليا؟ وكيف يكون غير قولي؟[12] وهي ترجمة مخلة بالمضمون ويرجع هذا إلى الأخذ بظاهر المصطلح لا بمضمونه والتسرع في الترجمة.

ويقدّم مسعود صحراوي البنيّة العامة للأفعال الكلاميّة كما يلي:

فرّع أوستين الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاث أفعال متزامنة تَحْدُث في وقت واحد أو متقارب جدا، وخاصّة الأول والثّاني، وجعل لها مصطلحات مختارة بدقة تحمل مفاهيم مركزيّة وهي: فعل القول، الفعل المتضمن في القول (الفعل الإنجازي)، الفعل التأثيري (الفعل النّاتج عن القول) [13].

الفعل الكلامي الكامل: (intégral Acte de parole intégral):

- "**فعل القول:** (قول شيء معين) acte locutoire وبنيته كالآتي:
  - ✓ **فعل صوتي:** إنتاج الأصوات؛
  - ✓ **فعل تركيبي:** إخضاع الأصوات لنظام نحوي معين؛
  - ✓ **فعل دلالي:** ربط الأصوات بالدلالة.
- **الفعل المتضمن في القول**" الفعل الإنجازي": (القيام بفعل ما ضمن قول شيء(acte illocutoire).
- **الفعل النّاتج عن القول: أو "الفعل التأثيري"** (الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي) (acte perlocutoire)[14].

نستنتج من هذا أن مشكلات ترجمة المصطلحات التّداوليّة المترجمة إلى العربيّة المشتركة بين الباحثين ترجع إلى إسقاط المصطلحات اللسانيّة الغربيّة الحديثة، على مصطلحات التراث العربي القديم المخالفة لها في المفهوم والمناقضة لها، وهي من باب المجازفة والتسرع والتساهل في ترجمة المصطلحات التّداوليّة، إلى جانب عدم استيعاب المفاهيم للنظريات اللسانيّة الغربيّة استيعابا كافيا فنتج عنها فوضى مصطلحيّة، وهي أكبر عائق في الدراسات اللسانيّة العربيّة الحديثة التي ترجع أسبابه إلى الجهود الفرديّة غير الموحدة.

5.لحظة المخاض أو المناخ الفكري المهيّء لظهور نظريّة أفعال الكلام في الفكر الغربي المعاصر: من العسير على المرء أن يجزم بتاريخ دقيق للمقدمات الأولى التي يمكن اعتبارها إرهاصات للتداوليّة في الفكر الغربي الحديث لحظة انبثاقها الأولى، في خضم لحظة تاريخيّة مثقلة بالأفكار والنّظريات والتصورات التي أحدثت ثورة في مسار العلوم الانسانيّة في أوربا خصوصا، وللحديث عن نشأة التّداوليّة في الفكر الغربي المعاصر لابد من التمييز بين مرحلتين كبيرتين تطبعان مسارها وهما:

- **مرحلة الإرهاصات الأولى:** على أيدي الفلاسفة الإنكليز والألمان والأمريكان.
- **مرحلة الولادة الفعليّة الرّسميّة:** كانت على يد الفيلسوف أوستين باكتشافه مفهوم "الفعل الكلامي" الذي تحول إلى نظريّة واضحة ومتكاملة ومتماسكة للأفعال الكلاميّة.

انبثق الدرس التّداولي المعاصر من عدة مصادر، ولكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه فالأفعال الكلاميّة انبثقت من مناخ فلسفي عام هو تيار الفلسفة التحليليّة، ومفهوم نظريّة المحادثة انبثق من فلسفة بول

غرايس، أمّا نظريّة الملاءمة فقد ولدت من رحم علم النّفس المعرفي.[15] ويرى كثير من الفلاسفة واللسانيين إلى أن المفاهيم التّداوليّة بطابعها العلمي الصّريح وخصوصا نظريّة الأفعال الكلاميّة، لم تؤسس إلا في النّصف الثّاني من القرن العشرين على يد فلاسفة التحليل من أمثال: أوستين وسيرل وغرايس[16].

وتعد الفلسفة التحليليّة هي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلاميّة وهي السّبب في نشوء اللسانيات التّداوليّة، وقد نشأت الفلسفة التحليليّة في العقد الثّاني من القرن العشرين في فيينا بالنّمسا على يد الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة (1848– 1925) في كتابه أسس علم الحساب، ومن أهم التحليلات اللّغويّة التي أجراها على العبارات اللّغويّة وعلى القضايا، تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميا ووظيفيا وهما: اسم العَلَم والاسم المحمول وهما عماد القضيّة الحمليّة، وبهذا أحدث انقلابا فلسفيا جديدا من وجهة فلاسفة اللّغة والتّداوليين محدثا قطيعة معرفيّة بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداوليين هامين هما الإحالة والاقتضاء[17] والفلسفة التحليليّة هي" ذلك المذهب الفلسفي الحديث الذي اتخذ اللّغة موضوعا للدراسة"[18] وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به فريجه كل من هوسرل، كارناب، فيتغنشتاين أوستين، وسيرل، وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامّة ومشتركة مفادها أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللّغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم[19] ومن أبرز فروع الفلسفة التحليليّة ثلاثة فروع هي: الوضعانيّة المنطقيّة، الظاهراتيّة اللّغويّة، وفلسفة اللّغة العاديّة، وهذا الفرع الأخير هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلاميّة[20]. فالفلسفة التحليليّة هي المحضن الفكري للنظريّة التّداوليّة وسبب نشأتها في الفكر الغربي المعاصر وقد انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات هي:

• **الظاهراتيّة اللّغويّة:** مؤسسها ادموند هوسرل وهو اتجاه غير تداولي وقد انغمست في البحث في أطر فكريّة أعم من الكينونة اللّغويّة، وراحت تتساءل عن قطب الأساس وهو بدايّة الحدث اللّساني في أعماق الوجدان، وهي في غايّة التجريد ولا علاقة لها بالاستعمال اللغوي، ولا بظروف استخدام اللّغة، ولا بأحوال أطراف الحوار، ولا بمقاصد المتكلمين، لكنها جاءت بمبدأ إجرائي مفيد وهو مبدأ القصديّة (Intentionnalité) الذي استثمره أوستين في دراسة ظاهرة الأفعال الكلاميّة[21].

• **الوضعانيّة المنطقيّة:** مؤسسها رودولف كارناب تقع على هامش التّداوليّة لأنها تهتم باللّغات الصّوريّة المصطنعة، وتقصي القدرات التواصليّة العجيبة التي تمتلكها اللّغات الطبيعيّة، بل تستبعدها وتقصيها تماما من نشاطها العلمي الدّراسي[22].

• **فلسفة اللّغة العاديّة:** مؤسّسها فيتغنشتاين هو اتجاه في صميم التّداوليّة وقد اتخذ اللّغة موضوعا للدراسة الفلسفيّة، واهتمامه باللّغة العاديّة البسيطة في السّياقات والمواقف اليوميّة المختلفة، ومراعاة الجانب الاستعمالي للغة.[23]

وخلاصة القول عن لحظة مخاض التّداوليّة: إنّ التّداوليّة نشأت نشأة فلسفيّة من رحم فلسفة اللّغة العاديّة والتي تعد الوعاء الفكري الذي انبثقت منه نظريّة أفعال الكلام، وقد خرج التياران الظاهراتيّة اللّغويّة، الوضعانيّة المنطقيّة عن التّداوليّة، لأن تيار فلسفة اللّغة العاديّة هو الذي طرح مشكلة اللّغة باعتبارها مشكلة تداوليّة واهتم باللّغة العاديّة البسيطة وبالجانب الاستعمالي في اللّغة ومراعاة مقاصد المتكلّمين، عكس الوضعانيّة المنطقيّة التي اهتمت باللّغات الصّوريّة المصطنعة، ودراسة اللّغة وإقصاء الجانب الاستعمالي للغة، وبذلك فقدت البعد التّداولي للغة، وكذلك تيار الظاهراتيّة اللّغويّة كان على هامش التّداوليّة بسبب إغراقه في التجريد ودراسة اللّغة في إطار وجودي وإلغاء البعد

الاستعمالي للغة، فالاتجاه الوحيد من اتجاهات الفلسفة التّحليليّة الذي اهتم بالبعد التّداولي للغة هو اتجاه فلسفة اللّغة العاديّة.

6. الأفعال الكلاميّة عند جون أوستين: حدد أوستين غايته وتوجّهه نحو الدراسة التّحليليّة للغة العاديّة التي يتكلمها النّاس وراح يدرس الجمل والعبارات اللّغويّة، وقام بعزل الجمل التي تبدو في ظاهرها خبريّة ومع ذلك لا توصف بصدق أو كذب، ثم توصل إلى اكتشاف ظاهرة الأفعال الكلاميّة وتأسيس النّظريّة، واقترح تصنيفا للأفعال الكلاميّة[24]. توصل أوستين إلى نتيجة هي:" اعتبار القول هو الفعل" ثم تفريع الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال متزامنة تحدث في نفس الوقت وهي: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل النّاتج عن القول، ثم قام بتصنيف أولي للأفعال المتضمنة في القول إلى خمسة أصناف وهي: الحكميات، الوعديات، الأمريات، السّلوكيات، التّبينيات[25]، من أهم منطلقات أوستين أنّ وظيفة اللّغة ليست إيصال المعلومات أو وصف العالم أو التعبير عن الفكر، وإنّما هي مؤسّسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر من المتكلم ضمن معطيات سياقيّة واجتماعيّة وذهنيّة إلى أفعال ذات صبغة اجتماعيّة مؤسّساتيّة[26] والأفعال الكلاميّة تعد مبحثا مهما لدراسة مقاصد المتكلّم ونواياه، فالقصد يحدد الغرض من أي فعل كلامي، كما يحدد هدف المتكلم من وراء سلسلة الأفعال اللّغويّة التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه[27]

أثبت أوستين أنّ معيار الصّدق والكذب لم يكن كافيا للتمييز بين الجمل الوصفيّة وأنّ المعيار الحقيقي للنجازيات هو اجتماع الشّروط الثّلاثة التاليّة:

- ✓ أن يكون الفعل بطبيعته المعجميّة منتميا إلى طبقة الإنجازيات؛
- ✓ أن يكون زمنه الحال أو الاستقبال، وأن يسند إلى ضمير المتكلّم، أو المخاطب؛

✓ أن يكون في سياق تخاطبي تواصلي مناسب.

حدد أوستين بنيّة الأفعال الكلاميّة وهي: فعل القول، والفعل المتضمّن في القول (الفعل الإنجازي)، الفعل النّاتج عن القول (الفعل التأثيري)، وأكد على أنّ الصّنف الثّاني "الفعل الإنجازي" هو الفعل الحقيقي إذ أنّه عمل ينجز بقول ما وهذا الصّنف من الأفعال الكلاميّة هو المقصود من النّظريّة برمتها.

✓ قدَّم تصنيفا أوليا للأفعال المتضمنة في القول، ولم يرض عنه؛

✓ من الانتقادات التي وجهت إلى أوستين كانت في تصنيف الأفعال الإنجازيّة؛

✓ الأسلوبان الخبري والإنشائي عند أوستين كلاهما يحمل فعلا كلاميا انجازيا، وكلاهما ينجز فعلا ويترك أثرا فرديا أو اجتماعيا معينا.

7. الأفعال الكلاميّة عند جون سيرل: تعد أعمال جون سيرل إضافة نوعيّة تظهر قيمتها الفلسفيّة واللسانيّة من خلال دراسته المعمقة لمفهوم " القوى الإنجازيّة" ولاسيما في تحديد عناصر القوة الإنجازيّة وفي تصنيفها، فهو لم يكتف بتعميق المفاهيم التي أنشاها أستاذه أوستين بل أعاد صياغتها، وأدرجها ضمن أفق معرفي أكثر عمقا هو فلسفة العقل.[28] ومن أهم المراجعات والتعديلات التي قام بها سيرل على النّظريّة إضافة إلى إعادة التصنيف، أنّه قدم تصورا آخر لفلسفة اللّغة والمنطق "الأفعال المتضمنة في القول" وسماها "القوى الإنجازيّة" ثم أدخل ضمن الإنجازيات ظاهرة كلاميّة فرعيّة سمّاها "الأفعال الكلاميّة غير المباشرة"، فهذه المباحث الثّلاثة (القوى الإنجازيّة، إعادة تصنيف القوى الإنجازيّة، الأفعال الكلاميّة غير المباشرة) هي الإضافة النّوعيّة التي تميّز بها سيرل[29]. وينطلق جون سيرل من قناعة فلسفيّة تحولت إلى كليّة منهجيّة مفادها أنّ كل نشاط لغوي تواصلي قائم على مبدأين هما[30]:

- مؤسّسة مؤطرة بنظام وقانون يسمى في الأدبيات المشهورة "قواعد اللّغة"؛

- متكلّم يتصرف وفق قصد معين وغرض يقتضيه مقام التّواصل.

والجديد الذي أضافه سيرل أنّه يبني نتيجة مفادها أن التواصل اللغوي لا يتم بالأقوال ولكن يتم بأفعال وإفادات تتضمنها تلك الأقوال، وبنى على ذلك تحليلا للعبارة اللّغويّة وتفكيكها إلى مكونين يتلبس أحدهما الآخر، هما "المضمون" و"القوة". وبغرض تفكيك بنيّة الفعل الكلامي لتحرير عناصرها إلى وحداتها الأوليّة قسمها سيرل إلى مستويين: المستوى الدلالي والمستوى التّداولي، فسمى المستوى الأوّل: محتوى القضيّة(contenu propositionnel) وسمى المستوى الثّاني: القوة الإنجازيّة (force illocutoire) وهذا الأخير هو المكون الذي يطبعها بطابعها التّداولي الصّريح، وجعله مفهوما مركزيا في نظريته، وهذا الإجراء من مظاهر التعديل المنهجي التي أجراها سيرل على عمل أستاذه أوستين، وفحواه التمييز بين مفهومين: مفهوم " فعل القول" ومفهوم "فعل القوة" كأن يكون فعل القول ظاهره "الاستفهام"، ولكن القوة التي يتضمنها "الإنكار"[31].

- **شروط المحتوى القضوي:** اقترح سيرل نمطين للأفعال يلخصان المحتوى القضوي:

✓ **فعل القضيّة أو الفعل القضوي:** وهو الحمولة الدلاليّة المباشرة التي تحملها الجملة وهو معادل لمفهوم فعل القول؛

✓ **فعل القوة:** وهو ما يعبر عن الطاقة الإنجازيّة التي تتضمنها الجملة كالإخبار والاستخبار والوعد والوعيد والتمني...وفعل القوة هو الفعل الكلامي الحقيقي[32].

- **مكونات الفعل الكلامي عند سيرل:**

✓ **الفعل القضوي:** يعبر عن قضيّة؛

✓ **الفعل الإنجازي:** يعبر عن قوة إنجازيّة؛

✓ **الفعل النّاتج عن القول:** يعبر على ما يترك من آثار في الواقع.

ويلح سيرل على أنّ الفعل الكلامي الحقيقي من هذه الأنواع الثّلاثة هو الفعل الكلامي الذي يتضمن قوة إنجازيّة، أو هو القوة الإنجازيّة ذاتها[33].

- **ومن أهم الأسس في بنيّة القوة الإنجازيّة حسب تصور سيرل:**
- **الغرض الإنجازي:** وهو كل ما يهدف إليه الفعل من غايّة إنجازيّة يسميه سيرل الغرض الإنجازي للفعل المتعلق به. وهو متلبس به تلبسا لا مقتضى للعدول عنه، وهو جزء من القوة الإنجازيّة.
- **اتجاه المطابقة بين القول والعالم:** ويعني به سيرل الوجهة التي يرتبط بها القول مع العالم، أو الأنحاء التي يرتبط بها المحتوى القضوي مع الوجود الخارجي للغة.
- **شرط الإخلاص:** هو عبارة عن تطابق حاصل (وإذا لم يكن حاصلا فلا بد أن يحصل) بين القول، وبين جملة النّوايا والاعتقادات الملابسة له. فإذا لم تتلبس القول نيّة صادقة، أو اعتقاد بمضمونه فقد تعثرت قوته الإنجازيّة[34].

ويعتبر سيرل أنّ الغرض المتضمّن في القول (الغرض الإنجازي) هو العنصر المهم بين هذه العناصر يقول الطبطبائي " كما أنّ مركز نظريّة سيرل هو تحليل القوة المتضمنة في القول، وكما أن العنصر الأساسي من عناصر القوة المتضمنة في القول هو الغرض المتضمن في القول[35]"

- **تصنيف سيرل للأفعال الإنجازيّة:** ألغى سيرل تصنيف أوستين ووضع تصنيفا بديلا له قائم على أسس علميّة مؤسّسة ومتماسكة نتجت عنه الأصناف الخمسة الآتيّة[36]:

✓ **التقريريات (assertifs):** والغرض منها هو التقرير والشّرط الافتراضي الذي تقوم عليه هو امتلاكها للأسس القانونيّة التي تؤيد صحّة محتواها، واتجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم، والحالة النّفسيّة التي تعبر عنها هي الاعتقاد، ومن أمثلتها: الإجابة، الإنكار، التأكيد؛

✓ **الوعديات (promissifs)**: والغرض منها الوعد، وشرطها العام قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المتكلم، والحالة النّفسيّة المعبر عنها القصديّة، ومن أمثلتها: الوعد، الالتزام.

✓ **الأمريات (directifs)**: وغرضها الطلب، وشرطها التعبير عن فعل مستقبلي يقوم به المخاطب، اتجاه المطابقة فيها يكون من العالم إلى القول والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب، والحالة النّفسيّة المصاحبة لها هي الرّغبة ومن أمثلتها: الأمر، النّهي؛

✓ **الإيقاعيات (déclaratifs)**: وغرضها إحداث تغيير في العالم حتى يطابق المحتوى القضوي، واتجاه المطابقة اتجاه مزدوج، ومن أمثلتها: الاستقالة، التسميّة؛

✓ **البوحيات (expressifs)**: وغرضها التعبير عن مشاعر حيال الواقع واتجاه المطابقة فيها هو الاتجاه الفارغ، ومن أمثلتها: الشّكر، التهنئة.

وقد اعتبر جون سيرل التقريريات صنفا يحتوي على جزء من صنفين عند أوستين هما التبينيات والحكميات، أما الأمريات تحتوي جزءا كبيرا من الحكميات عند أوستين وبعض السّلوكيات، والوعديات تحتوي وعديات أوستين بعد تجردها من بعض الأفعال مثل: الاستعداد، النّيّة[37]. فالتصنيف الذي جاء به سيرل قائم على أسس علميّة متماسكة، وقد وضع تصنيفا بديلا لتصنيف أستاذه أوستين، ولذلك يعد من بين فلاسفة اللّغة المعاصرين الذي كانت له إضافة نوعيّة في اللسانيات التّداوليّة من خلال دراسته لمفهوم القوة الإنجازيّة وتصنيفها بناء على رؤيته القائمة على أساس فلسفة العقل. ولهذا يبقى تصنيف سيرل للأفعال الكلاميّة هو الصّيغة النّموذجيّة التي استقرت عليها النّظريّة في الفكر الغربي المعاصر.

الأفعال الكلاميّة غير المباشرة: أهتم سيرل بظاهرة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة وهي الأفعال الكلاميّة التي ترد في العبارات والأساليب غير المباشرة وتدل دلالة غير حرفيّة، ومن أمثلتها: "هل يمكنك أن تناولني الملح؟" التي ظاهرها الاستفهام مع أنّ دلالتها ليس من الاستفهام في شيء، وإنما دلالتها الطلب أو الالتماس في هذه العبارة، والسّؤال الذي طرحه سيرل: لماذا يفهم المتخاطبون من هذه الجملة الطلب" الالتماس" وليس الاستفهام أي دلالتها غير الحرفيّة وغير المباشرة. فسّر سيرل ذلك انطلاقا من نموذج تفسيري معقد شيئا ما مركب من مصادر معرفيّة ومفاهيم شتى متضافرة على علاج هذه الظاهرة وهي نظريّة الأفعال الكلاميّة، والمشتركات المعرفيّة بين المتكلم والمخاط، وقدرة المتكلم على الاستدلال، ففي هذه الأصناف من الخطابات يتغلب الاعتبار المقامي وقصد المتكلم، وهي معطيات خارجيّة، على الصّيغة الحرفيّة للعبارة[38].

8. خاتمة:

- جاء هذا البحث لتسليط الضّوء على أهم الكتب الحديثة التي تتناول نظريّة أفعال الكلام للباحث مسعود صحراوي، باعتباره أحد أبرز الباحثين اللسانيين العرب الجزائريين في مجال اللسانيات التّداوليّة الذي حاول التوفيق بين اللسانيات الغربيّة الحديثة وبين التراث العربي القديم، وقد توصلنا في بحثنا هذا إلى مجموعة من النّتائج أهمها؛
- من مآخذ ترجمة المصطلح التّداولي عند الباحثين العرب اعتماد المترجمين على البنيّة السّطحيّة دون البنيّة العميقة للمصطلح، والمبالغة في التأصيل باستعارة مصطلحات التراث العربي وإطلاقها على مفاهيم حديثة لا تكافئها دون استيعاب مضمون التراث العربي ومضمون اللسانيات الغربيّة الحديثة بسبب الانسياق غير المدروس والتسرع والتساهل في ترجمة المصطلحات؛

- مرت نشأة التّداوليّة في الفكر الغربي المعاصر بمرحلتين وهما: مرحلة الإرهاصات الأولى على أيدي الفلاسفة الإنكليز والألمان والأمريكان، ومرحلة الولادة الفعليّة مع الفيلسوف الانكليزي جون أوستين باكتشافه لنظريّة أفعال الكلام؛
- أسس أوستين نظريّة جديدة في دراسة اللّغة نتيجتها "اعتبار القول هو الفعل" التي تلخصها صياغته المنطقيّة لها: "بقولي س كنت أفعل ع"، وتم تفريع الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال متزامنة تحدث في نفس الوقت هي: "فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل النّاتج عن القول" وأثبت أن جوهر الأفعال الكلاميّة هو الفعل المتضمن في القول؛
- تابع جون سيرل مشروع أستاذه أوستين وأعاد صياغته وتعديله، وأجري تعديلات ومراجعات على تصنيف القوى الإنجازيّة على أسس علميّة متماسكة وأكثر دقة، كما اهتم بظاهرة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، ويبقى عمله هو الصّيغة النّموذجيّة النّهائيّة التي استقرت عليها النّظريّة؛
- يوصي الباحث مسعود صحراوي اجتناب النّزعتين المذمومتين في البحث اللساني المعاصر، نزعة المبالغة في استدعاء التراث إلى العصر حتى يطابقه ونزعة المبالغة في نفيه وإبعاده عن السّاحة العلميّة، ويرى أن الرّبط المعرفي الصّحيح يجب أن يكون ضمن مواضعات منهجيّة مؤسسة لا يسمح فيها بتغطيّة فكر قديم على فكر جديد، ولا حجب مفهوم قديم بمفهوم جديد؛
- يرى الباحث وجوب الاستعانة بالنّظريات اللسانيّة الغربيّة الحديثة كاللسانيات التّداوليّة وغيرها، في دراسة التراث اللغوي العربي بشرط أن تكون قائمة على رؤيّة تجديديّة نقديّة وربط معرفي صحيح، لأنّنا بحاجة ماسة إلى استثمار هذه المفاهيم الغربيّة الجديدة في قراءة التراث العربي.

قائمة المراجع:

– التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة عند العرب في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنّشر، لبنان، ط1، 2005

– جورج يول، التّداوليّة، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، لبنان ط1، 2010.

– الخليفة هشام عبد الله، نظريّة الفعل الكلامي، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ط1، 2007.

– طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات الجامعة، الكويت، 1994.

– طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي المغرب، ط2، 2000.

– مختار زواوي، فصول في تداوليات ترجمة النّص القرآني، ابن النّديم للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2017.

– مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التّداوليّة، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2023.

– نعمان بوقرة، المدارس اللسانيّة المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، د ت.

– يان هوانغ، معجم أكسفورد للتداوليّة، ترجمة: الخليفة هشام عبد الله، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2020.

الهوامش:

[1] ينظر: التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة عند العرب في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنّشر، لبنان، ط1 2005 ص2.

[2] ينظر: الخليفة هشام عبد الله، نظريّة الفعل الكلامي، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ط1، 2007، ص26.

[3] ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التّداوليّة، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2023، ص41.

[4] ينظر: يان هوانغ، معجم أكسفورد للتداوليّة، ترجمة: الخليفة هشام عبد الله، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان ط1، 2020، ص.32.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص44.

[6] ينظر: طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي المغرب، ط2000،2، ص27.

[7] ينظر: جورج يول، التّداوليّة، ترجمة قصي العتابي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، لبنان ط1، 2010، ص15.

[8] ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التّداوليّة، ص44.

[9] ينظر: المرجع نفسه، من ص 49.

[10] ينظر: المرجع نفسه، ص45.

[11] ينظر: المرجع نفسه، من ص 71.

[12] ينظر: مختار زواوي، فصول في تداوليات ترجمة النّص القرآني، ابن النّديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص31.

[13] ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

[14] ينظر: المرجع نفسه، ص43.

[15] ينظر: مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العرب، ص21.

[16] ينظر: المرجع نفسه، ص82.

[17] ينظر: المرجع نفسه، ص87.

[18] ينظر: المرجع نفسه، ص.89.

[19] ينظر: المرجع نفسه، ص91.

[20] ينظر: المرجع نفسه، ص.103.

[21] ينظر: المرجع نفسه، ص 105.

[22] ينظر: المرجع نفسه، ص.110.

[23] ينظر: المرجع نفسه، ص.111.

[24] ينظر: المرجع نفسه، ص 125.

[25] ينظر: المرجع نفسه، ص.125.

[26] ينظر: المرجع نفسه، ص 130.

[27] ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانيّة المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، د ت ص190.

[28] ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التّداوليّة، ص 159.

[29] ينظر: المرجع نفسه، ص 160.

[30] ينظر: المرجع نفسه، ص164.

[31] ينظر: المرجع نفسه، ص 164.

[32] ينظر: المرجع نفسه، ص.165.

[33] ينظر: المرجع نفسه ص 168.

[34] ينظر: المرجع نفسه، ص ص171- 174.

[35] ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات الجامعة، الكويت، 1994، ص. 120.

[36] ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التّداوليّة، ص178.

[37] ينظر: المرجع نفسه، ص 179.

[38] ينظر: المرجع نفسه، ص 187.